الهوية الجماعية عند الشباب

أ.د/ بلقاسم سلاطنية
أ/ زينب شنوف
جامعة بسكرة

الملخص :

أخذ موضوع الهوية انتشارا وتداولا واسعا عند الباحثين منذ القِدم بنوعيها الفردية والجماعية، فقد قدّموا العديد من الدراسات الخاصة بها منذ سنوات الخمسينيات والستينيات، فنجد منالباحثين من يرى أن الدراسات حول موضوع الهوية كانت مع بداية الدراسات الفلسفية القديمة التي انطلقتمِن السؤال مَن أنا؟.

من خلال هذا المقال سنتعرّف على الهوية الجماعية انطلاقا من بناء الهوية وتاريخها عبر مختلف العصور، ثم التطرق إلى الهوية من المنظور اللغوي والمنظور الاصطلاحي لمفهوم الهوية كتقاطع للتخصصات، وفي الأخير تم التطرق إلى أهم وظائف الهوية وأنواعها.

Résumé:

Le sujet sur l'identité individuelle et collective a largement été traité et répandu par des chercheurs depuis bien longtemps, une multitude d'études ont été élaboré depuis les années cinquante et soixante.

Certains chercheurs pensent que les études sur l'identité trouvent leur origine avec la philosophie ancestrale qui a débuté par la question :Qui suis-je ?

A travers cet article, nous reconnaîtrons l'identité collective depuis la construction de l'identité, son histoire selon les différentes époques, puis nous traiterons l'identité sur le plan linguistique et sur le plan terminologique pour la compréhension de l'identité comme carrefour de disciplines, et enfin nous procéderons au traitement des fonctions et types d'identité les plus importons.

مقدمة:

يعتبر موضوع الهوية من المواضيع القديمة الجديدة والمثيرة في العلوم الاجتماعية بشكل عام، وفي تخصص علم اجتماع بصفة خاصة، والدليل على ذلك هو ما نلاحظه من كثرة تنظيم التظاهرات العلمية في الجامعات الجزائرية والعربية حول موضوع الهوية من مؤتمرات وملتقيات بمختلف أنواعها، دولية كانت أو وطنية أو في شكل أيام دراسية، تنظمها الكليات بصفة عامة، وكلية العلوم الانسانية والاجتماعية على وجه الخصوص، كون البحث حول هذه الظاهرة يعتبر من بين المواضيع ذات الأهمية الكبرى، بحكم أنها تبحث في الكينونة والوجود وكل ما له علاقة بالنفس البشرية.

كما لا تبحث الهوية في الفردانية فقط بل في الجماعية أيضا، ولا يمكن معرفة ودراسة هوية الفرد أو الجماعة وهو بمعزل عن الجماعة أو المجتمع، أو دون وجود علاقات اجتماعية تربط بينهم، فالهوية تبرز من خلال تصور الـ"هم" و الـ"نحن" كما وصفها أصحاب التفاعلية الرمزية وعلى رأسهم (**جورج هربرت ميد George Herbert Mead**).

الجماعة هي التي تتكون من شخصين أو أكثر يشتركون في مجموعة من الخصائص انطلاقا من وجود هدف أو مجموعة أهداف مشتركة،ووجود طريقة للاتصال والتواصل فيما بينهم قد تتمثل في لغة خاصة بهذه الجماعة دون غيرها، مما يؤدي هذا إلى وجود تفاعل بين أفراد الجماعة في شكل علاقات تربط فيما بينهم، تساهم في تحقيق الجماعة للأهداف المراد الوصول إليها،كما قد تكون هذه العلاقات اجتماعية، دينية، مهنية، كما قد تكون وقتية أو ذات مدى طويل، ويمكن الاشارة إلى أن الجماعة من خلال دراستنا هذه تتمثل في فئة الشباب، التي تعتبر من بين أهم الفئات الحساسة داخل المجتمع، حيث يمثلون الرأس المال الفكري، والبشري والثقافي، الذي من خلال الاهتمام بهم وتحسين وتطوير مهاراتهم وقدراتهم الفكرية والجسمية، وهذا من أجل العمل على استثماره بالشكل اللازم، فهم يمثلون (اقتصاد المعرفة)، ومن ثمة يساهمون بشكل أو بآخر في تنمية وازدهار المجتمع ككل، في مختلف المجالات السياسية، الاقتصادية، الثقافية، الرياضية، البيئية والاجتماعية.

وكون موضوعي الهوية والشباب يحتلان أهمية في المجتمع والدراسات الاجتماعية، ارتأ الباحثان التطرّق لهذا الموضوع بهدف توضح المقصود بالهوية والهوية الجماعية عند الشباب، وهو ما جعلنا نطرح التساؤل الرئيسي التالي:كيف تتشكل الهوية الجماعية عند الشباب؟.

1- تاريخ ومفهوم الهوية

دار جدل كبير بين المفكرين منذ أقدم العصور إلى الآن، خاصة في علم المنطق حول مدلول «الهوية» ومقاييسها وطريقة بحثها، وعلى الرغم من اختلاف المصطلحات التي استعملت في مختلف العصور مثل: ماهية، إنية، ذات، فإن الفكر الميتافيزيقي والفلسفي كان يبحث في ما هو وجودي ذاتي فردي ثابت في الزمان والمكان، لنقله للمجال المعرفي (الابستيمولوجي) بالتأمل العقلاني المحض، إلاّ أن مفهوم الهوية يبدو جدو معقد ومستعصي للفهم، حيث تعترضه صعوبات كبيرة في كل العلوم الاجتماعية وفي ميادين أخرى حسب (**كلود دوبارClaude Dubar**) وبالتالي إنّه من الصعب إعطاء مفهوم للهوية حسبه، إلاّ إذا اخترنا الاشارة إلى ما لا تعنيه وليس إلى ما تعنيه[1]، مما يعني أن مفهوم الهوية شائع وكبير لدرجة أنه لا يمكن وضع حدود له.

نحاول من خلال دراستنا التطرّق لتاريخ تطور لفظ «الهوية» في العلوم الانسانية، الذي انتشر في بحرها وفرض نفسه حتى غدا بمثابة كلمة سحرية تُعد ضمن المفاهيم التي ليس لها تاريخ، حيث تعتبر حسب (**كاترين هالبيرن Catherine Halpern**) الهوية «بمثابة كلمة مجرّدة، يرجع استعمالها للفكر ما قبل سقراط وبارميندس أو هراقليطس، الذي بالنسبة لهم من الصعب أن نفكر في التحوّل لأنه إذا لم يكن «أ» على ما كان عليه، فهل «أ» يبقى هو «أ»؟»[2]، وبصيغة أخرى هل «أنا» هو من كان طفل قبل 20 سنة، أم طرأ تغير عليه وأصبح شخصا آخر؟؟؟.

وبعد أكثر من عشرين قرناً تحدّدت المسألة، حيث بدأت تقترب بما يشغل العلوم الانسانية والاجتماعية حالياً، فالدراسات الخاصة بالهوية عادة لتظهر في السنوات الخمسينات والستينات حول محاور مثل تصور الذات، الشعور بالذات، نظريات الأنا، وهو ما جاء به الباحث والأخصائي النفسي الأمريكي (**إريك إيركسون 1950 Erik Erikson**).

ومع ذلك لم يحتل مفهوم الهوية أهمية حاسمة في معجم علم الاجتماع إلاّ بواسطة "التفاعلية الرمزية" لأن المؤسسين لمنهج المدرسة **(كشارل كولي وجورج ميد Charles Cooley & Georges H. Mead)** تكلما عن الذات، وهو المصطلح الذي راج بين التفاعليين في الستينات، ثم انتقل إلى مصطلح **الهوية** بدءا من سنة 1963، حين نشر **(إيرفينجوفمانErvin Goffman)** ملاحظات على أسلوب التعاطي مع الهوية، وفي السنة ذاتها نشر **(بيتر برجرPeter Burger)** مفهوم الهوية، وساهم في انتشار استعمالها بكتابه: « دعوة إلى دراسة علم الاجتماع» أين خصص حيّزا هاما في تقديمه لنظريات الأدوار والجماعة المرجعية، وكذا من خلال المقاربة الظاهراتية التي طوّرها في كتابه هذا.

ومن ثمة أصبح لموضوع الهوية مكان خاص في دراسات علم الاجتماع، أين تتم دراسة هوية الفرد (الذات) والجماعةمن خلال الأدوار التي يقومون بها ضمن العلاقات التفاعلية الاجتماعية، أين تتشكل صورة خاصة بهم في نظر الآخرين تمثل هويتهم الجماعية.

أمّا في الثمانينات بدأ الاهتمام بدراسة الهوية من الناحية النفسية الاجتماعية، والحديث عن استراتيجيات الهوية، وبالتالي نجد أن الاهتمام بدراسة الهوية حسب **(رشيد حمدوش)** حاول مواكبة ما يقع من تغيرات اجتماعية وثقافية على أفراد المجتمع والعمل على مسايرته.

فيما نجد أنّه في الآونة الأخيرة وبالتحديد في نهاية القرن العشرين، عرفت الدراسات الخاصة بالهوية تطوراً وتنوعاً، حيث تم التطرّق إلى الهوية بتوظيف مخزون لغوي متنوع مثل اكتساب الهوية عبر محاور ثلاث: التشخيصية التفردية، البحث عن الذات، وعملية التنشئة الاجتماعية(3).

وبالتالي فلا يمكن التطرق للحديث عن الهوية الجماعية دون الرجوع إلى شخصيتهم أو فردانيتهم من جهة، ولا يمكن تجريد أفرادها من هويتهم الذاتية التي تعبر عن شخصهم من جهة أخرى.

بالاضافة إلى هذا وذاك فإنه لا يمكن تجاهل الدور الذي تقوم به التنشئة الاجتماعية من غرسٍ لقيمٍ ومعاييرٍ ثقافية جديدة هي نتاج المهارات الفكرية العقلية

والجسمية البدنية التي تم اكتسابها من مختلف المؤسسات التعليمية، ودور العبادة ودور الشبابالتي مرّوا بها، فشكلت لهم هوية جماعية.

يبدو أن مصطلح الهوية يكاد يكون غائباً في أمهات القواميس وعلى رأسها لسان العرب لصاحبه **(ابن منظور)**، بالإضافة إلى القاموس المحيط، والمصباح المنير، إذ لا يتعدى الشرح عن أن الهوية «مستقاة من الفعل "هوى"، أي سقط من عل، أو أن يكون معناها البئر القعر»(4).

مما يعني أنه لا مكان لمصطلح الهوية في القواميس العربية، وهذا إمّا لكون المصطلح لم يكن في ذهن المسلمين من قبل، أو لأن المصطلح في حدّ ذاته تعريف.

ومن بين التعاريف التي عرفتها الثقافة العربية الاسلامية عن الهوية، نجد ما جاء فياللغة العربية المعاصرة عن هذا التعريف أنّه: «ما من كائن بدون هوية، حيث أن مبدأ الهوية هو القول ما هو هو، مبدأ أساسي من مبادئ المنطق التقليدي بموجبه يكون كل شيء هو عينه»(5).

وهو ما يعني الأصل والجوهر الذي يرتبط بصفة من الصفات الشخصية للفرد، فيميّز الشخص عن غيره، وهو ما يمثّل هويته، ولا وجود لكائن دون هوية، مما يعني أنّها تولد مع الفرد وليست مكتسبة.

وبالتاليفالهوية في الثقافة العربية الاسلامية تتمثل في أنّها حقيقة الشيء أو الشخص، وهي أصله وجوهره، حيث تشمل الصفات الباطنية والظاهرية للأفراد، كما أن للهوية صفات تميز الشخص عن الآخر، فلا وجود لكائن دون هوية، مما يعني أن الهوية فطرية، ومع مرور الزمن ومن خلال تراكم المعارف والتجارب والمهارات ودخول الفرد في علاقات اجتماعية مع جماعة الأفراد تتسع الهوية لتأخذ صورة أخرى مكتسبة.

نجد من جهة أخرى، أن كلمة الهوية تقابلها باللغة الفرنسية Identité، وهي مشتقة من المصطلح اللاتيني Idm التي تطلق على الأشياء أو الكائنات المتشابهة، مع الاحتفاظ في نفس الوقت بتمايز بعضها عن البعض الآخر.

هذا التعريف لا يختلف عمّا هو موجود في التراث العربي الذي يميّز الفرد عن الآخرين فيما بينهم.

كما تعني المطابقة، إذ نعلم أننا عندما نقول شيئين أنهما متماثلان أو متطابقان تستخدم الصفة «Identique»، فهذا النعت يعني تطابق هويتهما، لذلك نجد حسب معجم

(لاروس)، الهوية هي علاقة بين شخصيين أو شيئين أو أكثر فيما بينهما تشابه كبير، كما أن مبدأ الهوية مبدأ أساسي للمنطق التقليدي، بحيث كل شيء مطابق لنفسه (أ=أ)، وبالتالي فإن الهوية تأخذ معنى حالة الشيء كما هو نفسه، كما تأخذ معنى التشابه وإعطاء معنى لحالة الشيء كما هو نفسه، ومن الناحية الرياضية يعرّف (لاروس) الهوية بأنّها علاقة تساوي لكل القيم اللامحدودة، كما يعرّفها على أنّها صفات دائمة وأساسية لشخص أو مجموعة، (إثبات هوية، أزمة هوية، هوية اجتماعية، هوية جنسية)، ومن خلال هذه الصفات يمكن تميز شخص عن شخص آخر دون اختلاط ودون أخطاء(6).

ومن ثمة فإن الهوية في نظر (لاروس) متعلّقة بالكائن الحي والأشياء على حدّ السواء، كما ركّز على أن الهوية تمثل الصفات الباطنية والجوهرية للفرد أو الشيء، دون إهمال صفاته الظاهرية الخارجية، مما يعني أنه يتفق في جزئيات كثيرة جاءت بها المعاجم العربية.

وبالانجليزيةIdentity، وتعني حالة من التطابق والتماثل المطلق، وقد أعطى المعجم الانجليزي (Oxford Advqn) مثال عن معنى الهوية فقال: إذا كان هناك سارق لا يمكن إثبات بأنّه هو دون وجود دليل يثبت أنّه هو السارق(7).

ومن ثمة فإن الهوية هي صفات تميّز الشخص عن الآخر من خلالها يمكن تحديد هويته، كما نلاحظ أن الهوية لا تختلف في معناها بين مختلف المعاجم العربية واللاتينية، القديمة والحديثة والمعاصرة فهي تعني حقيقة الشيء أو الشخص بصفاته الباطنية الجوهرية والظاهرية الخارجية التي تميزه عن الآخرين، ولا يمكن تصور أي كائن حي دون أصل أو هوية.

2-**مفهوم الهوية الجماعية عند الشباب:**

هناك الكثير من الآراء التي تنظر إلى الهويات على أنّها تتأسس في سياقات إجتماعية وتاريخية محددة، وبالتالي فهي عبارة عن خيالات إستراتيجية، وهذا ما أشار إليه **(رايت ميلز Wright Mills)** بقوله: "النظرية الاجتماعية مطالبة بالاجابة أولا على ما هي طبيعة البنية الاجتماعية؟ علاوة على المكونات الأساسية لهذه البُنية؟"(8).

ومن هنا ارتأينا أن نسلط الضوء حول البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري، ومحاولة التعرّف على الهوية الاجتماعية وكيفية تشكيلها عند الشباب الجزائري، دون الرجوع والتعرّف على سيرورته التاريخية، فمجتمع بلا تاريخ هو بمثابة مجتمع بلا

حاضر وبلا مستقبل، ومن ثمة بلا هوية، فالتاريخ بحد ذاته هو الأنا الذي ترتكز عليه هوية أي مجتمع، وبالتالي فهو أشبه بالأساس في البناء، لذلك لابد من معرفة البناء الاجتماعي للمجتمع الجزائري قبل وبعد الاستقلال مما يساعدنا في التعرّف على الهوية الاجتماعية للمجتمع الجزائري وكيفية تشكلها عند الشباب.

كما لا يمكن فهم أو الحديث عن ما هو إجتماعي بعيدا عن ما هو ثقافي أو دون التطرق لفهم ما هو ثقافي، والعكس صحيح، فلا ثقافة دون هوية اجتماعية، ولا هوية اجتماعية دون ثقافة، "فإن أي أمة تاريخية كجماعة تتوفر على خصوصية ثقافية أولا، وأن الشعوب تختلف فيما بينها بما تتميز به من صفات ومميزات موضوعية، ومنه فكل شعب حسب اعتقاد (**يوهان غوتفريدهردرJohann Gottfried Herder**) يحمل في كيانه خصائص تجعل منه وحدة عضوية مختلفة عن غيرها"[(9)].

وبالتالي لا يمكن الفصل بين النظم ولا يمكن فهم البناء ككل بعيدا عن العلاقات المتداخلة بين مختلف النظم بمختلف أنساقها، وضرورة الرجوع إلى الخلفية التاريخية للمجتمع والجماعة للشباب الـ "نحن" والآخرين و"هم"، والبيئة الاجتماعية للمجتمع الجزائري شهدت تحولات وتغيرات عديدة بتعدد وتغير العصور، فقد كان البناء الاجتماعي الجزائري قبل الاستقلال يتميز بأنه مجتمع ريفي يعتمد على النظام الاقتصادي للأسر، كما كان يعتمد على الزراعة في عيشه وطريقة حياته بنسبة كبيرة، ليعرف بعدها تحولا وهجرة من الريف نحو المدينة جراء سياسيات الاستيلاء التي كان يمارسها الاستعمار الفرنسي على الأراضي الزراعية، ليصبح المجتمع الجزائري مجتمع حضري يعتمد على الراتب والوظيفة وإنتاج السياسة التصنيعية، أين أصبحت المدن تعرف نزوحا ريفيا كبيرا لتشييد المصانع الكبرى، مما يعني تخلي المجتمع الجزائري على الفلسفة الاشتراكية ذات البُعد الاجتماعي والتوجه نحو نظام ليبرالي يخضع لآليات السوق نحو الفردانية (المقاولاتية) بهدف الربحية الخاصة،وقد ظهر تحول على البناء الاجتماعي بعد صدور دستور 1989م الذي حدد العلاقة بين الدولة والاقتصاد والمجتمع، ففتح باب الاستثمار الخاص واسعا واتجه الاقتصاد نحو الخوصصة.

ومن أهم ما تم اكتسابه بعد الاستقلال هو تعميم التعليم الذي كان له دور كبير في اكتساب المجتمع لبناء اجتماعي جديد متعلم ومثقف، وهذا من خلال تعلّمه لمعالم الدّين والأخلاق من خلال مختلف المؤسسات الاجتماعية، وتعرّفه على مختلف العلوم التي

ساهمت بشكل أو بآخر في تطوير قدراته العلمية والعملية مستقبلا، وفهم ضرورة ومدى أهمية الحفاظ على التماسك الاجتماعي والتعاون بين مختلف النظم داخل البناء الكلي من النظم الاقصادية، النظم السياسية، النظم الاجتماعية والثقافية، وهذا من أجل الحفاظ على البناء ككل، ومن ثمة المحافظة على الهوية الجزائرية بصفة عامة والهوية الاجتماعية للشباب الجزائري بصفة خاصة.

ومن الأمور البديهية عند علماء الاجتماع أن الهويات الاجتماعية «تُصنع وتشكل بواسطة الناس أنفسهم، وأنّها أمر مُكتسب، ويُجتهد في الحصول عليها، وأن الهوية تنتج ويُعاد إنتاجها من خلال التفاعل الاجتماعي»، مما يعني أن الهوية الاجتماعية هي غير فطرية، أي لا تولد مع الفرد بل هي مكتسبة، ويُساهم الآخرون من خلال التفاعلات الاجتماعية وتوسيع شبكة العلاقات الاجتماعية في تكوين وتشكل الهوية الجماعية، لتصبح نظاما اجتماعيا قائما بحد ذاته لفترة طويلة عبر الزمن، ومن ثمة فإن مفهوم الهوية يعتبر من المفاهيم الاجتماعية التي حفل بها التراث الاجتماعي(10).

الهوية حسب التعريف السابق عبارة عن رموز تميز الفرد عن غيره، ويمكن عن طريقها التعرف على الجماعة التي ينتمي إليها والتي تجمعهم أهداف مشتركة تشكلت على مدار تاريخ نشأة هذه الجماعة من خلال تراثها وطابع وجودها كجماعة حزب ما، أو مهنة معينة مكتسبة عبر التاريخ (حرفة) كجماعة مقاولين شباب في مؤسسات صغيرة أو متوسط منتمين لقطاع ما يعملون بالخزف، النسيج، حدادة وغيرهم من المهن، "فالأفراد عندما يدخلون في علاقة مع بعضهم البعض في إطار الحياة...قصد تلبية حاجيات ممارساتهم المهنية، فإنّهم لا يتبادلون حسب (هابرماس) سلعا وخدمات فقط، بل يمارسون نوعاً آخر من التجارة هو الحديث الذي يتبادلون بواسطته الأخبار والآراء والانطباعات والمشاعر، وعليه تتميز حياة المجتمع الحديث ليس فقط بإنتشار الممارسات الاقتصادية، ولكن أيضا بتطور النقاش والمحادثة خارج المجال الخاص (الأسرة)"، وهذه العلاقات الاجتماعية هي التي تجعلهم يتصفون بصفات تدل على هويتهم الجماعية والتي تظهر على كل فرد يتعرف على نفسه من خلالها، وتعرّفه على الآخرين، ويتعرّف الآخرين عليهم من خلالها(11).

كما تُبنى الهوية الاجتماعية عند رواد التفاعلية الرمزيةمن خلال التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية،والصفات والعلامات البارزة عند الفرد والجماعة التي

تشكل الهوية الفردية والجماعية التي تتصف بـــ الـــ"نحن" و"هم" أو "الآخرين"، وهناك مؤهلات إجتماعية تسهم في شعور الفاعل بهويته، وهي المهنة التي يمارسها كمهنة التعليم، الطب، المقاولاتية، ومدى نُبلها وإسهامها في خدمة الآخرين، والشهادة المتحصل عليها وموقعها من الثقافة السائدة في المجتمع وما يمتلكه من ماديات، تجعله يعيش أسلوباً حياتياً يتفق مع عادات وتقاليد مجتمعه، ومن ثمة يمكن القول أن الهوية يمكن أن تكون إيجابية من خلال التقدير الاجتماعي الذي تتلقاه من المجتمع، وقد تكون الهوية سلبية أو ضعيفة إذا ما تعارضت مع قيم وعادات المجتمع كمهنة تجارة المخدرات، وتجارة الكحول، وهو ما يساهم في ظهور صراع أو ما يسمى بأزمة وضياع الهوية، بالاضافة إلى هذا فإن الهوية الاجتماعية هي الشعور بالانتماء للجماعة والاندماج بينهم، وهو ما يعتبر عامل مهم في تشكل الهوية الجماعية، وهو ما يؤكده كل من **(Tajfel& Turner)** عند الاشارة إلى أن الهوية الاجتماعية هي «نتاج ادراكات الفرد كونه عضواً في جماعة معينة ومشاعره التي يُبديها نتيجة انتسابه لتلك الجماعة لا يتحدد بالعلاقات الشخصية المباشرة أو التفاعل الاجتماعي المباشر بين أعضاء الجماعة، بل أن العامل الأساسي في ذلك هو المصير المشترك الذي يربط الأعضاء المنتمين لتلك الجماعة»[12].

وإنطلاقا من هذا يمكن القول أن الشعور بالانتماء إلى جماعة ما دون أخرى، يعتبر أحد أهم أبعاد تشكل الهوية الجماعية على غرار وجود هدف مشترك بين أعضاء الجماعة، ووجود علاقات اجتماعية كالقرابة أو الصداقة أو المعرفة تربط بين أعضاء الجماعة، كما نلاحظ أن هناك تداخل بين مصطلح الهوية والانتماء، فالحديث عن الانتماء يرتبط بالحديث عن الهوية حسب **(محمد عبد الرؤوف عطية)** «فحينما يتدارس الفرد معنى انتمائه، يستطيع أن يعرف من هو؟ ولماذا هو موجود هنا؟ ولأي هدف يسعى؟ فمع حاجة الانسان للانتماء يتولد مفهوم الهوية، وهكذا تنشأ الهوية من الانتماء وتعود إليه لتؤكد وجوده وتعمل على تقويته من خلال الاخلاص له»[13]، وبالتالي فإن العلاقة بين الهوية والانتماء هي علاقة تكامل الكل بالجزء إن صح التعبير.

وكخلاصة لكل ما سبق ذكره يمكن القول أن مفهوم الهوية الاجتماعية معقد لكبر شبكتهواتساعها على مختلف العلوم، فتعني من المنظور الأنثروبولوجي والاجتماعي مجموعة الصفات الظاهرية والباطنية النفسية، الاجتماعية، الاقتصادية، القانونية، السياسية، الثقافية، العسكرية التي يعرّف بها الفرد نفسه، ويتعرّف الآخرين عليه من

خلالها، وهذه الصفات هي التي تميزه عن غيره وتعطيه الشعور بالانتماء إلى هذه الجماعة دون غيرها، والتي من خلالها يمكنه تقديم جملة من الوظائف والأدوار التي تحدد مكانته الاجتماعية داخل المجتمع.

3-وظائف الهوية:

تعتبر الهوية في نظر (**أنطوني جيدنز**) من أكثر الحاجات الأساسية الشائعة في الجنس البشري، فمتى شعر الانسان بانتمائه إلى جماعة ما سواء كانت اثنية، اقليمية، مهنية يمكنه أن يعرف من خلالها من هو؟ والهدف من وجوده؟ والوظائف الواجب القيام بها والتي من خلالها يمكن أن يشعر الفرد بقيمته ومكانته داخل الجماعة بصفة خاصة وداخل المجتمع بصفة عامة.

وتتمثل وظائف الهوية حسب (**كاميليريCamilleri**) من ثلاث وظائف نوجزها بتصرف على الشكل الآتي:

أ- الوظيفة المعنوية: تهدف إلى جعل الأفراد والجماعات يحافظون على معرفة ذواتهم.

ب- الوظيفة الواقعية (البراجماتية): تهدف إلى جعل الفرد يتأقلم ويتكيف مع محيطه، فلا يمكن للهوية أن تُبنَى بمعزل عن الآخرين وعن الواقع.

ج-الوظيفة القيمية: كما يصوّرها (**Camilleri**) بحيث يعمل الفرد على الاستظهار لذات حاملة لقيم ايجابية تساعده على الاندماج في الواقع ونسج علاقات وروابط مع الغير(14).

4-أنواع الهوية:

يختلف الباحثين في تحديد أنواع الهوية باختلاف الزوايا التي ينظر من خلالها إلى الهوية، فإذا ادرنا تحديد أنواع الهوية من منظور أنها هوية عربية فيرى (**غسان سلامة**) أن هناك تنوع الهويات في الوطن العربي وتتمثل حسبه في أربع أنواع: هوية دينية، هوية إقليمية ويعني بها تغليب العناصر الجيوسياسية على تلك النابعة من الانتماء القومي، هوية محلية مثل الهوية الخليجية والهوية المغربية، ويقصد بالمغربي المغربي العربي، وهوية رابعة تتمثل حسبه في الهوية السياسية الآلية إلى إنشاء تجمعات ومحاور داخل المجموعة العربية تبعا للمواقف السياسية(15).

فيما نجد من يقسّم الهوية إلى هوية اجتماعية، هوية فردية، هوية ثقافية، هوية دينية، وبإعتبار أن دراستنا حول الهوية الاجتماعية والتي تعتبر بحد ذاتها نوع من أنواع الهوية بالرغم من التداخل وصعوبة الفصل بينهما إلاّ أننا نجد (**دوركايم**) يميّز بين الهوية

الفردية والهوية الاجتماعية بقوله "يوجد في كل منّا كائنان: كائن فردي ويتكون من المشاعر والأحاسيس التي تتصل بالحياة الخاصة من ناحية، وكائن إجتماعي ويتكون من منظومة الأفكار والمشاعر والعادات التي تعبّر فينا عن المجموعة من ناحية أخرى، وإن تلاحم هذين الوجهين هو الذي يكون الكائن الاجتماعي"، أو كما يسميه **(دوركايم)** بالوعي أو الضمير الجمعي، ومن ثمة فإن لا يمكن الفصل بين الهوية الفردية والهوية الاجتماعية فمن الأولى تنتج الهوية الثانية التي بدورها تنتج لنا أنواع أخرى من الهويات (هوية اثنية، هوية اقليمية، هوية مهنية)(16).

وكل نوع من هذه الأنواع يمكن تقسيمها إلى نوعين كان قد أشار إليهما **(كلود دوبار)** في كتابه (أزمة الهويات) بأنّه يمكن تقسيم الهوية الاجتماعية إلى قسمين:

1-الهوية الجماعاتية: وتفترض هذه الأشكال الايمان بوجود تجمعات تسمى "جماعات"، تعتبر أنظمة مكانية وأسماء محددة مسبقا للأفراد، وتعيد انتاج المماثل عبر الأجيال، وفق هذا التصور لكل فرد انتماء يعتبر رئيسيا، بوصفه عضوا في "جماعته" ووضعاً فريدا بوصفه يحتل مكانا في هذه الجماعة، تخضع هذه الأشكال خضوعا وثيقا للإيمان بالطابع الأساسي للانتماء إلى مجموعات معينة تُعتبر أساسية أو ثابتة أو فقط حيوية للوجود الفردي وسواء تعلّق الأمر بــ"ثقافات" أو بــ"أمم"، أو بــ"اثنيات" فإن السلطات والأشخاص أنفسهم يعتبرون مجموعات الانتماء هذه مصادر "جوهرية" للهوية تدوم هذه الطرائق في مماثلة الأفراد انطلاقا من مجموعة انتمائهم في المجتمعات الحديثة.

2- الهوية التطويعية:هي نوع من أنواع الهوية سريعة الزوال حيث ينتمي إليها الأفراد لفترات محدودة تقدّم لهم أشكالاً من المماثلة التي تتم إدارتها بأسلوب يأخذ في الاعتبار تنوعها وسيرورتها المؤقتة، وهي بدورها تنتج هويات متنوعة للغير ضمن التجمعات الأسرية والمهنية والدينية والسياسية وغيرها، لكي نعبّر عن خيارات شخصية تتجاوز الموروث التاريخي للهوية التقليدية، فينتج من الوجود المتزامن للهويات الجوهرانية والهوية التطويعية.

وفي ذات السياق يشير **(ماكس فيبر)** على أنّ الهوية الجماعاتية هي العلاقات الاجتماعية المبنية على الشعور الذاتي (التقليدي أو الانفعالي) بالانتماء إلى نفس الجماعات، فيما تشير الهوية التطويعية حسبه إلى العلاقات الاجتماعية المبنية على التراضي أو على تنسيق مصالح معللة عقلياً (بوصفها قيمة أو غاية)، ومن خلال دراستنا

هذه نعتمد على هذين النوعين كأنواع للهوية الاجتماعية واحدة على شكل علاقات اجتماعية ثابتة ومستمرة يُطلق عليها تسمية (هوية جماعاتية)، وأخرى على شكل علاقات اجتماعية مؤقتة يطلق عليها بتسمية (هوية تطويعية)[17].

فيما نجد هناك من يُخلط بين أنواع الهوية ومستويات الهوية، فالأولى تعني أشكال وأنماط مختلفة قد تكون على مستوى واحد، والاختلاف يكون في الهدف من تشكيلها وخصوصياتها، بينما مستويات الهوية يقصد بها الانتقال من مرحلة إلى أخرى في توسع دائرة الهوية والشعور بها، من ذاتية (الأنا)، إلى شخصية (فردية)، وصولا إلى هوية جماعية أي من عدة أفراد مجتمعين بعلاقات فيما بينهم مهما كان سبب هذا الربط أو الجمع بينهم سواء كان وطني، ديني، مهني، جنسي.

وكل كيف يحدد مستويات الهوية حسبه، فقد حددها (**جوفمان**) وذلك حسب ما نحمله من صور وأحكام عن "الآخر" وفق متتالية تنازلية: هوية اجتماعية (الحقيقة أو الافتراضية)، هوية شخصية وهوية للذات (identité pour soi)، فالهوية الاجتماعية حسبه تُبنى على أساس رموز وعلاقات اجتماعية توحي بالمواقف كاللغة واللباس، بينما الهوية الشخصية في نظره تجمع بين هذه الرموز وبين السمات البارزة أو الحاملة للهوية[18].

إلاّ أنّه ومن خلال دراستنا هذه نعتمد على وجود اربع مستويات للهوية تبدأ من الهوية الحسية الفردية، ثم الهوية الحسية الجماعية، وبعد ذلك الهوية المعنوية الفردية والهوية المعنوية الجماعية كآخر مستوى، هذه الهويات الأربعة مرتبطة بمسار زمكاني تنتقل فيه الأشياء والأشكال من الهوية الفردية الحسية إلى الهوية الجماعية المعنوية عبر تفاعل معقد وتاريخي بين الانسان والأشياء المحيطة به[19]، ويمكن أن نوجز هذه الفكرة في الشكل التالي:

الشكل رقم (01): يوضح مستويات الهوية

	قيمي	ادراكي
فردي	الهوية المعنوية الفردية	الهوية الحسية الفردية
اجتماعي	الهوية المعنوية الجماعية	الهوية الحسية الجماعية

المصدر: مشاري عبد الله النعيم: تحولات الهوية العمرانية، ص527

الخاتمة:

يختلف مفهوم الهوية باختلاف مجال وتصور أحد عن الآخر، وهو ما يعني أن مفهوم الهوية ظلّ في مفترق الطرق بين علم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الأنثروبولوجيا، والأدب والسياسية والصحافة، وغيرهم من العلوم، وهذا إذا دلّ على شيء فإنّه يدل على صعوبة إيجاد تعريف موحّد يرضي جميع الباحثين من مختلف المجالات، وهي نفس الفكرة التي بدأنا بها حديثا ها نحن ننهي بها هذه الجزئية، مما يعني أنّه مهما حاولنا البحث عن طريقة لنحدد من خلالها مفهوم للهوية يرضي مختلف التخصصات لا يمكننا ذلك.

والهوية الجماعية عند الشباب هي تلك الصورة التي يعطيها الشباب للآخرين عن أنفسهم من خلال الأدوار التي يقومون بها داخل التنظيم الاجتماعي (الجماعة) بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة، وهذا بهدف تحقيق الغاية المشتركة فيما بينهم والتي تمثل الهدف الأساسي في تشكل هذه الجماعة، وهذه الأخيرة تتعدد بتعدد أصنافها، حيث نجد فئات جماعية حسب (الجنس، الوطن، القومية، الاثنية، المهنة...)، ولكل منها أبعاد وخصوصيات تميزها عن غيرها من الجماعات، كما لا يمكن أن تبرز الهوية الجماعية عند الشباب دون وجود اتصال وتفاعل بين الشباب فيما بيهم، والأهم من ذلك هو شعور أفرادهم بالانتماء لهذه الجماعة.

قائمة المراجع:

1)- Claude Dubar, **Identité collective et individuelle dans le champ professionnel**, in Michel de Coster et al: Traité de sociologie du travail, De Boeck université, Paris-Bruxelles, 1998, 2éme édition, P385.

2)- كاترين هالبيرن، "**مفهوم الهوية: تاريخه إشكالاته**"، ترجمة: إلياس بلكا، مجلة كلمة، العدد46، مجلة فصلية، الناشر منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، السنة 12، شتاء، 1426/2005هـ، [www.kalema.net/v1/?rpt=587&arr] (مقال إلكتروني)

3)- رشيد حمدوش، "**بناء الهوية عند الشباب الجزائري أو ميلاد الهويات الصاعدة**"، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 11، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، جوان 2013، ص101

4)-سعيد إسماعيل علي، **الهوية والتعليم**، عالم الكتب، القاهرة، 2005، ص23

5)-**المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، دار الشروق، بيروت، 2000، ص1493

6)- Larousse, **Le petit Larousse 2001**, Larousse/HER2000, Paris, 2001, P526

7)-A.S Hornby et al, **Oxford Advanced Learner's Dictionary of current English**, Oxford University Press, P421

8)- بوتومور، **تمهيد في علم الاجتماع**، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، دار الكتب الجامعية، الاسكندرية، 1972م، ص23 (كتاب إلكتروني)

9)- يورغنهابرماس، **ما بعد الدولة-الأمة**، ترجمة: عبد العزيز ركح، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، 2011م، ط1،ص47

10)- غسان منير حمزة سنو وعلي أحمد الطراح: **الهويات الوطنية والمجتمع العالمي والاعلام (دراسات في إجراءات تشكل الهوية في ظل الهيمنة الاعلامية العالمية)**، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت، 2002، ط1،ص67 (مقال إلكتروني)

11)- يورغنهابرماس، مرجع سبق ذكره، ص31

12)- بشرى عناد مبارك، "**التعصب وعلاقته بالهوية الاجتماعية والمكانة الاجتماعية لدى العاطلين عن العمل**"، مجلة الفتح، كلية التربية الأساسية، العدد 53،جامعة ديالي، نيسان، العراق، 2013، ص71، (مقال الكتروني).

13)- محمد عبد الرؤوف عطية، **التعليم وأزمة الهوية الثقافية**، مؤسسة طيبة، القاهرة، 2009، ص34

14)- C.Camilleri, **<u>La culture et l'identité (Concepts et enjeux pratiques de l'interculturels)</u>**, Paris, Edition L'Harmattan 1989, **P**, 40-43

15)- عفيف البوني، "**<u>الهوية القومية العربية</u>**"، أحمد بلعبكي وآخرون: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، سلسلة كتب المستقبل (68)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013، ط1،ص37- 38.(كتب إلكتروني)

16)- سلطان بلغيث، **<u>تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب</u>**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد05، عدد خاص بأشغال الملتقى الدولي الأول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، جامعة ورقلة أيام 27، 28 فيفري، الجزائر، 2011، ص350.

17)- كلود دوبار، **<u>أزمة الهويات (تفسير تحول)</u>**، ترجمة: رندة بعث، مكتبة الشرقية، بيروت، 2008، ط1، ص 104- 108.(كتاب إلكتروني)

18)- رشيد حمدوش، مرجع سبق ذكره، ص105.

19)- مشاري عبد الله النعيم، "**<u>تحولات الهوية العمرانية: ثنائية الثقافة والتاريخ في العمارة الخليجية المعاصرة</u>**"، أحمد بلعبكي وآخرون: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، سلسلة كتب المستقبل (68)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013، ط1، ص 525- 526.(كتاب إلكتروني)